عنوان الورقة :

وسائل التواصل الاجتماعي وتأكيد هوية النشء

ورقة عمل في المحور الرابع مقدمة إلى :
مؤتمر التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي
وتأثيرها على الهوية في ضوء رؤية قطر 2020

• وسائل التواصل الاجتماعي وتسييرها لخدمة المعرفة :

لا يمكن نكران الدور الذي تقوم به وسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا، وتغلغلها في تفاصيل برامجنا اليومية بحيث أصبحت جزءا مهما منا لا يمكن الاستغناء عنه، ليس للنشء فقط وإنما لكل إنسان، بغض النظر عن سنه وعن مستواه الاجتماعي أو الثقافي، فهي الأداة الفعالة الملازمة لكل ساعات يومنا. هذه حقيقة من الواجب أن نقرها منذ البداية.

وإذا اعترفنا بأن هذه الوسائل مهما اختلفت أشكالها وتباينت مسمياتها باتت أداة العصر الأولى على جميع المستويات، وإحدى ضرورات هذا العصر اليومية الملازمة لكل منا في كل الأوقات، فلا بد بالمقابل أن نعترف بأنها إحدى وسائل التواصل المهمة والفعالة سريعة التأثير، والتي جعلت من انتقال المعلومة أو الصورة وتداولها أمرا هينا لم تكن سرعته في حسبان الإنسان من قبل. وعلينا أن نتخيل حياتنا الراهنة على سبيل المثال دون الإنترنت أو البريد الإلكتروني وفوائده الجمة في التواصل عبر العالم دون حدود أو قيود، وكنا في زمان مضى منذ حين نعتبر الفاكس إحدى نعم العصر التي سهلت انتقالنا من التلكس إلى أداة أيسر.

ويبدو لي أن الهلع من تأثير هذه الوسائل على روح ووجدان الإنسان سلبا غير مبرر بالقدر الذي نحسه من حولنا ، فهي وسيلة يومنا الحاضر التي ستأتي من بعدها ربما وسائل مبتكرة جديدة أخرى ، ربما أكثر تطورا وفاعلية، وقد تتخطى توقعاتنا بمراحل ، وقد تكون في تأثيرها علينا أبلغ وأخطر.

أحد كبار مفكري الخليج العربي هو الدكتور محمد جابر الأنصاري، قبل طغيان وسائل التواصل الاجتماعي الحالية وبدء الانشغال بالعوالم الافتراضية، كان يندد بجهاز التلفزيون الذي اقتحم مجالس الأهل والأصدقاء، ليجعلهم في حضرته سكوتا يستمعون مجتمعين إليه، دون حوارهم الحميم المعتاد قبله، وها نحن اليوم في حضرة التلفزيون أو

غيره منصرفين عنه، وكل منا في شغل عمن حوله بجهاز هاتفه الشخصي المحمول يدور في فلكه الخاص بعيدا عن الجماعة.

وبدلا من التوجس أو الخوف من وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها السلبي على النشء علينا أن نعي تماما جانبها السلبي هذا، وأن نقنن استخداماتها، وأن نشرع للتعامل مع مصادرها، وأن نبادر بالاستفادة من طغيانها على حياة الفرد والمجتمع وتسييرها لخدمة الأغراض التربوية والاجتماعية بأساليب ذكية جاذبة ومؤثرة.

- أخطار الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي :

في دراسة أجراها مؤخرا العالم الأمريكي "لاري روزين" أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا أثبت من خلالها، **أن الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي إلى تزايد الشعور بالعدوانية والأنانية والاضطرابات النفسية والكآبة، كما وأنها تؤثر على التحصيل الدراسي للشخص المدمن على استخدام تلك المواقع.**

وقد حذر نائب مدير أكاديمية العلوم الشرطية في إمارة الشارقة على هامش ندوة بعنوان " أثر مواقع التواصل الاجتماعي على المجتمع " التي نظمتها مؤسسة صندوق الزواج في جامعة خليفة، من تنامي تلك الظاهرة في المجتمع الخليجي ، فقال : " **إنها تؤدي إلى العزلة، وخلخلة علاقات الشباب بعائلاتهم، وتذمرهم من زيارات الأقارب ، معربا عن أسفه لأن التواصل العائلي فقد كثيرا من جوانبه الإنسانية، واستبدلت الزيارات العائلية في المناسبات والأعياد برسالة نصية من الهاتف الجوال**".(*)

إن الوعي بحقيقة الأخطار وجوانب تأثيرها على مجمل حياتنا يجعلنا جميعا في حيطة وانتباه لضرورة نشر الوعي بهذه الأخطار وبما يمكن أن تقود إليه، إلا أن الحياة ستأخذ مجراها الطبيعي المعتاد في تعاملات البشر، فالنار والسكين وغيرهما من الأدوات المفيدة التي هيأهما الإنسان لخدمته من الممكن أن تكون أدوات حرق وتدمير وقتل. وانظر إلى التدخين، فبالرغم من علم الإنسان المدخن بمضاره المهلكة إلا أنه ينساق إليه بشراهة ضاربا بكل التحذيرات عرض الحائط. فلو كان الوعي بهذه المخاطر مبكرا عند كل إنسان لكان الأمر مختلفا.

لقد ترك صغارنا ألعابهم جانبا وانزووا قابعين دون حراك في زوايا البيت مع أجهزتهم المحمولة يتابعون عوالم افتراضية لا تمت إليهم بصلة.

- **هوية النشء تكوين عائلي مجتمعي :**

يبدو لي المنشأ الأول لهوية النشء هو حضن الأم، حيث يلعب البيت الدور التأسيسي الأول في زرع بذور مكونات الهوية الوطنية والقومية بما يتلقاه الطفل من أغاني المهد والأصول الأولى للتهذيب والتربية والتعليم وغرس أنبل المعاني وأجلها بذرة بذرة بأناة ودراية وخبرة حياتية طبيعية، يكملها كل ما في الحي وما في الحضانة والمدرسة والمدينة وما في البلاد من مؤثرات. فهوية النشء تكوين عائلي مجتمعي إلى جانب كونه تكوين تربوي وثقافي يكتسبه الفرد من خلال المعايشة والإحساس بدفء العاطفة الوطنية.

لعهد ليس ببعيد كانت الثقافة الشعبية التي يتلقاها الفرد في محيطه الأول بالبيت والحي والمجلس تلعب دورا مهما في التأسيس للهوية، ففي الأغاني والحكايات والأمثال والألعاب وفي العادات والتقاليد مجموعة من القيم المتعددة التي كانت تنصهر لتشكل قاعدة انطلاق قوية لاستيعاب المزيد من القيم الروحية والجمالية. إلا أن هذه الثقافة تراجع دورها لتحل مكانها ثقافة عامة خارج الفصل الدراسي تقدمها الإذاعة والنادي وفريق الأصدقاء والسينما ومن بعدها التلفزيون وأفلام الفيديو ومؤخرا الإنترنت لتشكل حصيلة متنوعة هي دون شك أكثر تطورا وتنوعا وأكبر اتساعا لتفتح أفق المتلقي على عوالم أرحب ولتجعل منه أكثر قابلية في التعامل مع تكنولوجيا العصر واستقبال خليط من الأفكار والتوجهات المتعددة، وهنا مكمن الخطر على الهوية إن لم تحصن.

- **اختراق مكونات الهوية :**

إن الخوف على هوية النشء يأتي من عوامل خارجية تعمل على اختراق هذه الهوية وزعزعة أركانها بالشك في حقيقة الثوابت الدينية والأخلاقية والتقليل من أهمية المدخر الثقافي المكتسب، وجعلها هوية متذبذبة هشة، بهدف تدمير الذات المتكئة على أصول منبتها وركيزة تراثها وما تؤمن به من قيم ومثل روحية وجمالية ليسهل من بعد ذلك تدمير الأمة ونهب وتخريب الأوطان. والأمثلة الحية على ذلك عديدة نشهدها كل يوم من حولنا.

إن اختراق مكونات الهوية ليس أمرا هينا إذا ما تم تحصين النشء منذ البداية بوعي نوعي لمختلف الأخطار المحدقة وأساليبها الذكية في الجذب والتأثير. وتعتبر

أدوات التواصل الاجتماعي المتعددة ذات تأثير سريع وبليغ في تحصين النشء من خلال بث القيم الجمالية والأخلاقية بأساليب علمية وتربوية مشوقة وغير مباشرة تجعل من هذه القيم والمثل مادة فنية مشوقة وقابلة للتداول الطوعي خارج مقولة (أنشر تؤجر).

كل منا في يومه يتلقى من خلال وسائل التواصل الاجتماعي سيل من الصور والأخبار والحكم و النوادر والحكايات، أغلبها معاد ومكرور وبعضها ليس بذي بال، إلا أن منها ما يُعجب ويثير ويؤثر فنختار منها ما نعيد إرساله طوعا إلى من نحب ليشاركنا متعة ما عايشناه معها، ولنبدو في نظر من استقبلها منا أرفع ممن يمطره بسيل التوافه.

إذن هناك خاصية الفرز والتفضيل، وتجاوز ما ليست له قيمة. وهي خاصية تتفاوت حساسيتها لدى البشر حسب مستوى الثقافة ودرجة الذوق الشخصي ، وكلاهما قابل لأن يُنمى ويُدرب عليه لجعل هذه الخاصية أداة الفرز لدى النشء بين الغث والسمين وبين العدو والصديق. بذلك يكون الطريق لتأكيد هوية النشء هو التوعية بمجمل الأخطار المحدقة ليكون استخدام أدوات التواصل الاجتماعي استخداما سليما ومفيدا يرقى إلى ما وصل إليه الإنسان من تحضر.

- **تغيير النظرة السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا :**

ترى من سيقوم بهذا الدور التوعوي ، العلمي ، الفني ، التربوي ، لكيفية التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، ليس فقط لتأكيد هوية النشء، وإنما للاستفادة من كل المعطيات التي توفرها هذه الوسائل للوصول إلى أكبر قدر من المعرفة ؟ إنه السؤال المهم الذي لا بد وأن تعنينا جميعا الإجابة عليه بوضوح وبدون أي حرج. إذ ليس هذا دور الأم أو الأب أوالمرشد الاجتماعي ولا دور المدرس، كل على حدة ، إنه دور فريق مستنير من كل هؤلاء مجتمعين تضمهم هيئة بوسائل تقنية متطورة تتغلغل في كل جزئيات وسائل التواصل الاجتماعي وتماشي تطوراتها وكل مستجداتها لتبث بسلاسة وفن وذكاء كل ما من شأنه تعزيز مكونات الهوية والتوعية بتحصينها ضد أي نوع من أنواع الاختراق.

إن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا الراهنة وعلى جميع المستويات تقريبا لا يعدو أن يكون مجرد ملهاة ومباهاة فارغة باقتناء أحدث الأجهزة والمعدات، للتسلية ولتمضية الوقت ومتابعة ما يستجد. ولا بد لنا من توظيف هذه الوسائل بتغيير مفهومنا العام نحوها، من أداة هوس وملهاة لتكون أداة مهمة للمعرفة.

- الدور المفترض للعائلة والمدرسة في تأكيد هوية النشء :

إن الحديث عن الدور المشترك للعائلة والمدرسة في توعية النشء، حرصا على تجنيبهم المخاطر التي تهددهم، والتي قد تتسرب إلى أطفالنا مهما حاولنا حمايتهم، يؤكد من جديد أننا في عصر جديد .. متغير .. متطور، وبالتالي فإن طرق التواصل ستتغير من يوم إلى آخر. نحن اليوم نعيش شِـفَاهيّـة جديدة أساسها الصورة والومضة الإشهارية والخطاب الموجز الذي يصل في لحظات ويقحمنا إقحاما في أشياء تعجبنا وأخرى لا نقبلها، ولكننا في حاجة إلى توعية وغربلة للاستفادة أكثر ما يمكن من إيجابيات هذه الوسائل وهي عديدة، لعل أبرزها الانفتاح على الآخر المختلف عنا، والتواصل عن بعد وتقريب المسافات، وغيرها. لكن هذه الشِـفَاهيّـة الجديدة تخلق أيضا عزلة داخل الأسرة ذاتها وتحد من الحميمية التي توفرها وسائل التواصل التقليدية المباشرة، لذلك ينبه الكثير من المختصين في علم نفس الطفل من خطر ترك الأطفال لفترة طويلة أمام الحواسيب، وضرورة تكثيف التواصل الحميمي العائلي المباشر والمراقبة المنتظمة لما يدور في فضاء الطفل الافتراضي في غرفته أو مجاله الخاص.

إنها مهمة صعبة ولكنها ضرورية لخلق شباب مستنير وواع في مرحلة لاحقة قادر على استغلال إيجابيات وسائل التواصل الاجتماعي، وتجنب كل ما من شأنه أن يسيء لشبابنا وتقاليده وهويته.

(*) الآثار السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي - د.أحمد عبدالحميد عبدالحق - موقع التاريخ الالكتروني - نوفمبر 2016.

علي عبدالله خليفة
البحرين